لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث

تاليف الدكتور علي الوردي

***

لعل الدكتور علي الوردي من احرص اساتذة الجامعات عندنا ـ في العراق ـ على متابعة النتاج الفكري وارغبهم في اجتذاب الجمهور وحمله على تدبر واقعه الاجتماعي والالمام بطبيعة ظروفه ومعاينتها وامكان مساهمته في تغييرها وتعديلها والانتقال به الى حال من التطور السريع الذي تشهده البشرية في عصرنا الراهن ، فقد جاز قرابة ثمانية عشر عاما من النشاط الفكري اصدر خلالها مؤلفات عديدة حظيت باقبال القراء من مختلف اصناف الناس وانتماءاتهم الفكرية والمذهبية ، وتفرد بتناول موضوعات حساسة تمت باوثق الاسباب والصلات الى تاريخ مجتمعنا في القديم الغابر وظروفه الحاضرة وهو يواجه المد الحضاري الذي يجتاح المعمورة ، نتيجة التوسع في حركة الاختراع والتطور العلمي والاخذ باسباب الحضارة العصرية في كافة المجالات والمرافق ، ولا نزعم انه ينزع الى الاستثارة ولفت الانظار واحداث الضجة ، فيما يطالع الجمهور به من هذه الكتب المتتالية التي يصارحه من خلالها بالكثير من الحقائق الصارخة التي يتجافى الكثيرون من اجتلائها والتناقش حولها وتقصي اسبابها ومآتيها ، بل ينجم هذا الاثر القوي الفاعل الذي تسلفه بصورة عفوية دون ان يعمد اليها المؤلف او يبذل في سبيلها جهدا وقد يختلف القارىء معه حول المسلمات والقيم التي يتبناها او لا يقره على طريقته في الاستقراء والاستنتاج واستخلاص الحقائق، غير انه لا يمسك من الاحتفاظ باصدق مشاعر الاحترام والاعجاب نحو هذا الكاتب المجتهد ، الوافر الانتاج ، الغزير الثقافة ، وما يهمه ارجاف المرجفين الذين لا تطيق افهامهم القاصرة اي مراجعة مخلصة لقيمنا وعاداتنا الموروثة .

وقد لا يعدم الدكتور الوردي مزية آيلة بمؤلفاته للشيوع والذيوع وكثرة التداول ، ذلك انه يكتب باسلوب يسير العبارة بسيط اللفظ ، يتفهمه أهون الناس تحصيلا وادناهم اطلاعا على نفائس المؤلفات والقمم الادبية الراقية ، وما دام لا يبغي التاثير العاطفي في وجدان الجمهور الذي يتداول كتبه وتشيع هي الاخرى في زحمته ، فما يعني بالتزويق والتنميق او يعمد الى البلاغة العقيمة او الحقة المقبولة ، انما يزجي عبارته ، بصورة عفوية لا اثر فيها للتصنع والاحكام ، وهذا لا يعني انا نشايعه في طريقة تعبيره ، ففي حسباننا انه لا يجوز التهوين من دالة الصياغة والتقليل من اهميتها في الاستدلال على خطورة الموضوعات التي يهتم الكاتب بمعالجتها وتحديد ابعادها ، هذا الى ان تفرد كاتب ما بضرب من الاداء او نمط من التعبير ، كفيل ان يضعه في مكانة تحظى معها افكاره وآراؤه بالقبول والتغلغل في الاذهان والعقول .

والكتاب الاخير في قائمة مؤلفات الوردي : لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، يضم بين دفتيه تفصيلا في الوقائع والحوادث الرهيبة التي شهدها هذا الوطن منذ ان ارتبط بالنفوذ العثماني في مطالع القرن السادس عشر الميلادي وانسلاخه من السيطرة الفارسية ، حيث ظل طيلة عصور عديدة ميدانا للصراع بين هاتين الجارتين العزيزتين ! : ايران وتركيا ، ومهوى مطامع حكامهما الابقين في مختلف الفترات والعهود كما يستقري المؤلف ذلك ويستدل على تاثيره في الحياة الاجتماعية السائدة في امس واليوم .

ان هذه الحوادث التي يغلب المؤلف في سردها وازجائها ! ما يكتنفها وتزدحم به من الظاهرات الاجتماعية ، بديل الاقتصار على السرد التاريخي والعناية بالحادثة التاريخية لذاتها ، لتحمل القارىء على الروع والانذهال من فظاعة تلكم الحوادث الجسام التي المت بهذه البلاد واظلت سكانها وحرمت اجيالهم المتعاقبة من نعمة الاستقرار واستتباب الامن في ربوعهم طيلة السنوات التي ارتبطوا ابانها بالسيادة العثمانية ، فالحروب الداخلية التي تنجم عن ثورات العشائر ! وما يقتضي قمعها واخمادها من تضحيات كثيرة ، والمجاعات والاوبئة والآفات التي تتسبب عن بواعث شتى وعوامل متداخلة ، بالاضافة الى ما غلب على طبيعة حكم العثمانيين للعراق من القهر والعسف واحتجاز الحريات ! الامر الذي ترتب عليه تشويه الجوهر الانساني ومسخه وافساده والحد من صفائه ونقائه ، كل هذه المياسم التي انطبع بها تاريخ وطننا تحمل في طياتها اسباب تخلفه عن الركب الانساني ، وتوقفه عن الاسهام في الحضارة الانسانية كسابق عهده ايام العباسيين .

كتاب الوردي الاخير ، هذا ، وان عده كتاب العمر ، كما نص على هذا التحديد في المقدمة ، لا يثير جدلا في عمومه ، حول قضية من القضايا ، كسابق مؤلفاته ، وخصوصا تلكم التي كان يفاجيء القراء بها قبل ثورة تموز ١٩٥٨ ، اذ لا يخفى ان العراق شهد خلال هذه الحقبة الممتدة من قيام الثورة الاعصار ، تطورا ملموسا وتحولا خطيرا في الحياة السياسية والاجتماعية ، فكثير من الاحلام التي تراود مخيلات المثقفين والمتعلمين من ابنائه ، وقد يستبعد بعضهم امكان تحققها وصيرورتها امرا واقعا وحقيقة ملموسة في قريب او بعيد ، غدت اليوم في عداد الحقائق المجسدة ، وقد نستجلي هذه الظاهرة حتى في مجال اللفظ وميدان العبارة المجردة ، فكلمة الاشتراكية كانت في امس الدابر وربما لسنوات قريبة من الكلمات التي يهمس بها في الندوات والمجالس همسا ! وقد يترتب على التفوه بها دبيب الذعر في قلوب البعض ، او قد يعتري انصارها ودعاتها تهيب من الاصطدام بالمواضعات الاجتماعية الخطيرة التي تعترض طريقهم ، غدت اليوم من الشيوع والتداول ، بحيث يعد الطرف السياسي الذي لا يستهدي بها ويترسمها في عمله اليومي ، جامدا متخلفا ، عن بقية الاطراف ، في مجال تبني مطالب الجماعات وتمثل رغباتها ، فالباحث الاجتماعي لا محيص له ، من ان يرضى لهذا التحول الخطير الذي استجد ، لا على حياة العراق فحسب، بل شمل المنطقة برمتها والعالم باسره ، دون ان يقتصر على معاودة تدارس فرضيات ثلاث : صراع البداوة والحضارة ، ازدواج الشخصية، التناثر الاجتماعي ، بالتصدي لكتابة ملاحق كتاب تاريخي ، قد يكون في غنى عنها ، اذ كتب باسلوب شائق وخال من الجفاف الاكاديمي ، فما يمكن ان تعين المؤلف ملاحقه الثلاثة في حمل القاريء على الاعجاب او اجتناء النكهة والعبير اللذين كان يستافهما من مؤلفاته السابقة التي صدرت في ظروف تحفل بالتعارض الخطير بين اماني الشعب وتمنت السلطة السياسية الممثلة بالاجراء وصنائع المستعمرين ، وهذا لا يعني في حقيقته ان الوردي ، كان من حملة لواء المعارضة السياسية جهارا ، فما ابعد كتبه واهتماماته عن هذا المنحى من مناحي النشاط الفكري والاجتماعي ، انما كان المجتمع متطلعا بكليته لاية دعاوة فكرية تستهدف التشكيك بقيمه ومواضعاته التاريخية واللغوية والعقلية ، ويعتد الجهر بها من قبيل الجراة النادرة المثال ، ويسلك بها في قبيل المعارضة والمناواة للحكم القائم وقتذاك ، اذ هو مسؤول بالدرجة الاولى عن الجمود الراثن ونكوص المثقفين عن مراجعة تلكم القيم والمواضعات ، لما يحيق بهم ويمتحنون به كل آن من القهر والاضطهاد واحتجاز الحريات، فالابقاء عليهما على هذا امر يتمشى ويتفق الى حد بعيد واستئثار تلكم الانصاب والهياكل بالمراتب الخطيرة والكراسي الوثيرة ، ولا نبغي التهوين من جسامة المجهود المبذول من لدن الدكتور الوردي ، في مراجعة المظان والمصادر العديدة التي استقى منها مادة كتابه ، وجهده في تصنيفها وسكبها في ضرب من التاليف والتركيب يطفى فيه الاهتمام بالظاهرة الاجتماعية على السرد التاريخي المحل ، مما طبعه بعنصر الرشاقة والاسر ، وتاتي لقارئه معه ان يقراه بشغف واهتمام فائقين .

***

يقول المؤلف في استهلالة ـ الملحق الثالث ـ المعنون : الشعر والحضارة : « كان من نتائج النكسة التي حلت بنا في حزيران عام ١٩٦٧ ان صار كل فريق منا يحاول ان يجد سببا للنكسة ، ولكي يلقي اللوم عليه ويستريح ، وقد وصل الحال بالبعض منا الى حد انه اعتبر غناء ام كلثوم احد اسباب تلك النكسة ، ولكن سببا واحدا غفلوا عنه في هذا الصدد هو ولعنا المفرط بالشعر ، ولست ادري لماذا غفلوا عنه مع العلم انه اجدر ان يكون سببا للنكسة من غناء أم كلثوم » .

وكذا راح في بحث مستفيض وتقص جاهد في طبيعة موحياتنا ومعطياتنا الشعرية وتملي مضامينها وفحاويها على توالي القرون ، فخلص الى اتسام الشعر العربي بالكذب والتدليس ، فبعد ان تولى عن مخادعة القبيلة والمبالغة في امتداحها والتفاخر بأمجادها خلص الى تملق أهواء السلاطين واسترضائهم ومداعبة ميولهم ، وانتهى به المطاف الى التفني بأمجاد الشعب واستدار عطفه ، فخلعوا عليه من الكرامات ونسبوا له من الخوارق والبطولات ما لم يدر في خلد او يجول في وجدان . وما كان اغنى الدكتور علي الوردي عن هذه الغذلكة المضلة في تحري اسباب نكسة حزيران .

وما أحراه باعتماد الموضوعية والقصد في التماس الطرائق المنجحة في تفادي نتائج وعواقب هذه النكسة المريعة !.

أخشى ان يحمل استقراء الوردي ضمنا ! مطالبة الشعراء ان لا يتفجروا بالضرم ويتسجروا بوقيد العاطفة .

***

الشعر العربي لا يعدم في الكثير من نماذجه القديمة والمحدثة ، عنصر التقريع والمجابهة والتوجه باللائمة والانحاء على الشعب خنوعه واستكانته وصبره على الذل ، والتنديد بما يلازمه ويطبق عليه ويعمه من النفاق والتدليس والكذب والمروق والخشية من الحكام ، دون ان يحلق قائلو هذا الشعر المكتنز بعنصر التقريع والذم ، في ذروات الخيال والوهم .

وبصدد علاقة الشعر بالنكسة المشؤومة ونقض ما توهمه الوردي من أثره فيها ، يكفي ان نشير الى قصائد الجواهري وابراهيم طوقان في تقريع الشعب العربي والحكومات قبل الخمسينات ، وذم غفلتهما عن الخطر الداهم وتقصيرهما في تفاديه ودفعه ، دون ان يمتدحاهما ويؤولا بهما الى الغرور والمكابرة .

يقول الجواهري في قصيدته التي يحيي بها الثورة الفلسطينية إبان الثلاثينات :

يا أمة لخصوم ضدها احتكمت ... كيف ارتضيت خصيما ظالما حكما
بالمدفع استشهدي ان كنت ناطقة ... او رمتان تسمعي من يشتكي الصمما
وبالمظالم ردي عنك مظلمة ... اولا فاحقر ما في الكون من ظلما
سلي الحوادث والتاريخ هل عرفا ... حقا ورأيا بغير القوة احترما
لا تطلبي من يد الجبار مرحمة ... ضعي على هامة جبارة قدما
أقسمت بالقوة المعتز جانبها ... ولست افضل منها واجدا قسما
ان التسامح في الاسلام ماحصدت ... منه العروبة الا الشوك والالما

وثمة قصيدة للجواهري نظمها عام ١٩٤٧ يستهلها :

ردوا الى الياس ما لم يتسع طمعا ... شر من الشر خوف منه ان يقعا

يسخر فيها من تقاعسنا وتهاوننا وتفاهة وسائلنا في مواجهة الكارثة التي استبانت بداياتها ، بالنسبة الى جسامة المجهود الذي ينفقه الصهاينة لتثبيت وجودهم وترسيخ كيانهم ، وبالرجوع الى بعض البنايات الشعرية السامقة في موروثنا القديم لا يعجزنا العثور على نماذج رائعة يلهج ناظموها باستقباح الآثام والشرور والموبقات التي تفشت في عصرهم ، ومجاوزتها الى هجو سلائق معاصريهم بديل الاطناب في امتداحهم وتملقهم وكيل الثناء الزائف لهم . ومقصورة ابن دريد ولامية الطغرائي ـ وان كان الباعث عليهما خيبة الآمال ـ وبعض قصائد ابن الرومي ، هي امثلة حية لتفنيد ما وصم به استاذنا الوردي معطياتنا الشعرية ، من الكذب والتدليس وتمجيد الباطل وطغيان هذه السمة او المسحة وشيوعها على امتداد الزمان ، حتى اوقت بنا واسلمتنا لنكسة حزيران .

رجوت ان لا تغلب هذه الهرطقة على منطق الوردي ، وتستأثره الى هذا الحد المعيب ، فتميل به الى الاقرار : « ان الناس حين يستمعون الى قصيدة من شاعر لا يهتمون هم من جانبهم بأن يكون الشاعر قد قال صدقا او كذبا ، كل اهتمامهم ينصب على جودة القصيدة من حيث روعة الفاظها وانسجام قوافيها ، أي أنهم يطربون للشعر من ناحيته الفنية المجردة ولا يكترثون لما فيها من حق او باطل »، متناسيا ـ او متغافلا ـ ان الفنية في الاداء صنو ملازم للحق ، وقوام متين للصدق ، ودعامة ركينة للتجربة الشعرية النامية ، وان عملا يتسم بالكذب لا يوسم بالفنية او الجمالية ، وهذه المقولة يتواضع عليها ويرجحها غالبية النقاد في آداب الامم والشعوب كما لا يخفى .

ان توقنا للتجديد ورغبتنا في الالواء بمواضعاتنا الجامدة وتقاليدنا الموروثة وقيمنا المهزوزة ، لا يلزمنا بالازراء بتراثنا والانتقاص من دلالته الطائلة على الانسانيات الحديثة ، وما كان احرى بعالمنا الاجتماعي ان يجتلي القيم الرفيعة الباقية التي يغتني بها هذا التراث الاصيل ويمد بها الحضارة الانسانية من آن لآن .

العراق ـ الهندية — مهدي العبيدي

زهرة من دم

مسرحية بقلم الدكتور سهيل ادريس

منشورات دار الكاتب العربي ـ القاهرة

***

عندما نناقش عملا مسرحيا فاننا نسأل سؤالين : اولهما هل هذا العمل مسرحية بالمفهوم الدرامي أم لا ؟ وهذا سؤال يتعلق بالتكنيك او الشكل الفني اما السؤال الثاني فهو ما قيمة هذا العمل من حيث المضمون .. والحقيقة أننا لسنا امام سؤالين منفصلين وانما هما وجهان لسؤال واحد ذلك لان العمل الادبي كما يقول « بندتو كروتشه » هو وحدة عضوية من الشكل والمضمون ... ونحن هنا في مسرحية « زهرة من دم » التي كتبها الدكتور سهيل ادريس امام مسرحية واقعية من حيث انها تعالج موضوعا يمثل اهتمامات جماهيرنا العربية .. هو موضوع المقاومة الفلسطينية .. وبذلك يكون للادب دوره الفعال في تحريك الجماهير وتعميق رؤيتهم للواقع أي يكون الادب تقدميا دافعا للثورة من حيث موقفه الاجتماعي والسياسي .. ولا يضير الادب ان يعرض مشكلة محلية كما قد يظن البعض مدعين ان هذا يبعد العمل عن طابع الشمول والانسانية العامة بل انه على العكس من ذلك يقول « سارتر » في كتابه « ما الادب » ان الاديب عندما يتعمق في مشاكل مجتمعه المحلية فانه يصل الى المستوى الانساني العام فيكون ذلك بمثابة النافذة التي يطل منها على الافق ...

اما « زهرة من دم » فهي رمز او معادل موضوعي لاحساس الكاتب، فالزهرة هي فلسطين ولكنها ليست بيضاء انها زهرة حمراء مصبوغة بالدم ...

وعندما يفتح الستار تقابلنا عدة شخصيات لبعض الفدائيين منهم هشام وسعيد والياس وفتحي وكذلك نزيه ثم اخوه زياد واخته فادية وامها ثم الضابط الاسرائيلي وراشيل المجندة الاسرائيلية واخيرا احمد الجاسوس الذي تعتبر شخصيته من النوع الدائري أي الذي يتغير سلوكه في آخر المسرحية عنه في اولها نتيجة لاصطدامه بموقف درامي معين بحيث انك لا تستطيع ان تتنبأ بسلوكه مقدما وذلك على العكس من

الشخصيات الاخرى في المسرحية التي تعتبر من النوع المسطح اي التي يسير سلوكها في خط مستقيم منذ البداية حتى النهاية .. وقد نجح الدكتور سهيل ادريس في رسم الابعاد الفسيولوجية والسيكلوجية والاجتماعية لشخصياته بحيث بدت وهي تتحرك حية من لحم ودم ...

والصراع الدرامي هنا ينشأ من الصراع بين العرب والاسرائيليين صراع بين العرب والامبريالية والصهيونية .. ويبدأ الصراع بحركة فردية قام بها هؤلاء الفدائيون ابطال الرواية ضد العدو ثم يقبض على احدهم وهو زياد ليعذب ويحاكم لكنه يقاوم وكذلك يقاوم اخوانه وتتصاعد المقاومة وبالتالي يتصاعد الصراع الدرامي باستمرار ولكن الصراع لا ينتهي الى حل في النهاية كما هي العادة في الاعمال المسرحية الكلاسيكية وانما الصراع يصل الى ذروة ويغلق الستار عند هذه الذروة ، اذ يسمع هشام في الراديو ان المقاومة تصاعدت واتحدت في تنظيم هائل وان المقاومة تصل الى درجة الغليان وقد جاء هذا نتيجة لمطابقة الشكل مع المضمون اذ ان الدكتور سهيل ادريس يدعونا في المسرحية الى المقاومة بلا يأس فيقول على لسان احد ابطاله : « قد يخربون بيتنا ولكننا سنبنيه ثم يخربون ثم نبنيه ولا بد ان ننتصر » ..

ونجد في المسرحية هشام يحب فادية ويحلمان بالزواج والسعادة وكذلك بقية الفدائيين شأنهم ككل البشر يحلمون بالعودة والسلام وتخفق قلوبهم الى الحياة وبذلك اكتسبت شخصياتهم الصدق وحرارة الحياة ولم تتحول الى بطولات تجريدية ...

ويبدأ الحدث الدرامي في منزل فادية واخيها زياد والام وقد عاد اليهم هؤلاء الفدائيون الخمسة بعد معركة مع العدو ، وبينما هم في حوارهم تأتي فرقة يهودية للقبض عليهم وهددوهم بنسف المنزل ولكن زياد رغبة منه في انقاذ ارواح الآخرين الذين معه ضحى بنفسه وخرج يسلم نفسه حيث فادوه الى السجن ، وهنا ينمو الحدث الدرامي اكثر ويبدأ الصراع الدرامي في التصاعد حيث تتم عمليات التعذيب ضده ولكنه يرفض ان يشي باخوانه ويرفض كل شيء الا المقاومة وفي تلك الاثناء كان هشام قد خرج لينتقم لزياد واشتبك مع العدو في معركة استبسل فيها ولكنهم قبضوا عليه جريحا ينزف بينما هرب بقية زملائه الى مغارة بعيدة .. ونرى جاسوسا يدعى احمد هو الذي يدل الاسرائيليين على مكان البيت وزياد وهاشم ، ولكننا نفاجأ بأن هذا الجاسوس المدعو احمد يصل الى المغارة حاملا هشام الجريح بعد ان انقذه نتيجة لتغير سلوكه الدرامي عندما اصطدم بالموقف الذي رأى فيه هشام يسيل دمه على الارض واحس بشاعتها ان هذا يمكن ان يحدث لابنه وهنا حدث التحول في شخصيته .. وفي اثناء ذلك ايضا نكون فادية قد ذهبت الى الضابط الاسرائيلي ترجوه كي ينقذ اخاها ولكنهم هناك يعذبونها ... ثم ننتقل الى المغارة حيث تتم نهاية الحدث الدرامي فنجد هشام وحده بينما ذهب اخوانه ليقاتلوا في معركة جديدة وتركوه ومعه جراحه لان الجراح لا تعني التوقف وانما تعني المزيد من المقاومة وهذه هي فكرة المسرحية وهي تعبر عن موقف ايجابي ونضالي من الكاتب ، ويسمع هشام في المذياع نبأ تصاعد المقاومة وتنظيمها واشتدادها وتراءت له حبيبته في ثوب ابيض ولكنه مرصع بزهور حمراء .. زهور من دم ...

اما عن الحوار في المسرحية فهو يثير قضية هامة لكونه باللغة العربية الفصحى ذلك لانه استطاع ان يتخلص من ازمة الازدواجية التي يعاني منها المسرح في مصر حيث توجد لغة خاصة للكتابة ولهجات اخرى للكلام العادي في الحياة اليومية مما يضطر كثيرا من الكتاب في مصر الى الكتابة باللغة العامية في المسرح كي يطابق الكلام واقع الحياة وواقع الشخصيات المرسومة ولكن ذلك يفقد العمل المسرحي كثيرا من الجمال والجلال كنص ادبي يمكن ان يكتب له البقاء وخاصة عند التعبير عن المواقف التراجيدية اذ ان للغة العربية الفصحى جمالها الخاص وجلالها ايضا بينما نجد ان اي عمل مكتوب بالعامية فهو محكوم عليه بالسجن المؤبد داخل البلد التي خرج منها وداخل الزمن الذي كتب فيه لانه لن يفهم خارج بلده ولا بعد زمانه نظرا لاختلاف اللهجات بين الدول العربية وتطورها او تغيرها مع الزمن ..

قلنا ان الدكتور سهيل ادريس قد تخلص من هذه الازدواجية في اللغة وقد ساعده في ذلك ان الناس في بلاد الشام وخاصة المثقفين يتكلمون لغة قريبة من الفصحى اكثر من العامية في مصر كما ان شخصيات هذه المسرحية بحكم ثقافتهم لا يستبعد ان تكون احاديثهم بالفصحى .. وقد ساعدت كل هذه العوامل الدكتور سهيل ادريس فجاء حواره مطابقا لواقع الحياة وواقع الشخصيات من جهة كما جاء أيضا شاعريا مكثفا جميلا من ناحية كونه نصا ادبيا ...

وفي النهاية يمكننا ان نقول ان الدكتور سهيل ادريس قد قدم لنا من خلال مسرحيته تلك عملا دراميا متكاملا من ناحية الشكل ثوريا من ناحية المضمون ...

الجمهورية العربية المتحدة

دكتور صلاح عدس

الفيلم في معركة الافكار

نشر : دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ـ ١٣٠ ص
ترجمة وتقديم : اسعد نديم

* * *

دأبت دار الكاتب العربي على نشر سلسلة كتب عن المعركة بعد حرب حزيران نشرت عن الشعوب التي حاربت العدوان عن حرب العصابات عن الشعر .. الخ . وها هي تنشر كتاب الفيلم في المعركة والكتاب لا يتعرض للافكار والصور التي تقاوم الفاشية في الافلام ولكنه يكشف عن كيفية تحول الافلام وبخاصة افلام هوليود الى مناصرة النازية والفاشية .

والكتاب من تأليف : ج. هـ. لوسن ونعرف من مقدمة الكتاب بأن السيد لوسن كان اول رئيس لاتحاد كتاب السينما في هوليود عند تكوينه في عام ١٩٣٣ ، ونعرف من المقدمة ايضا بأن لجنة النشاط الغير امريكي قد شنت هجماتها على هوليود وكان ممن اصابتهم السيد لوسن الذي اصدر هذا الكتاب في عام ١٩٥٣ .

وبالرغم من مرور ستة عشر عاما على صدور الكتاب فان اغلب نظرات المؤلف قد جاءت صحيحة منذ تاريخ اصداره الكتاب وحتى الآن.

يدلل المؤلف على تحول هوليود نحو النازية عندما يستشهد بفيلم ثعلب الصحراء ، حيث نقرأ في نهاية الفيلم رسالة صوتية لونستون تشرشل يتباكى فيها على حروب الديمقراطيات العظيمة (المانيا النازية) في الوقت الذي اغرق حلف الاطلسي كوريا الديمقراطية بالدماء .

ثم يتكلم عن اللجنة السابقة وكيف واصلت تحقيقاتها في البحث عن النفوذ الشيوعي « فبين عشية وضحاها تناسوا التضحيات البطولية التي قدمها الشعب السوفييتي في الكفاح المشترك ضد الفاشية » .

والكل يعرف ان مهاجمة الشيوعية الان لا ترتبط بمهاجمة دولة من دولها ولكننا نستثني هذا عند الحديث عن الكتاب ، ففي وقت صدوره كانت الاهمية ترتبط بدولها .

والكتاب وثيقة للكشف عن الشخصيات التي تلعب ادوارا خفية في هوليود . فهو يتكلم عن وقوع بعض الشخصيات امثال كازان وشتاينبك العوبة في يد « ريتشارد نيكسون » .. (الرئيس الحالي) اما كازان فيبدو ان الموضوع الاثير لديه هو الجنس وان كان الكتاب يتعرض لمحاولة نيله من ثورة المكسيك بقيادة زاباتا ، ويبدو ان كازان وشتاينبك (١) خبيران في شؤون المكسيك يقول المؤلف : « لقد لخص

١ ـ لشتاينبك قصة اللؤلؤة تدور عن معاناة هندي احمر من المكسيك نتيجة امتلاكه لاحدى اللآلىء الثمينة . وهو الذي كتب قصة زاباتا بطل المكسيك ايضا .

حياة زاباتا « فرانك تاننبوم » وهو باحث بورجوازي لا شك ان كازان يعرف كتبه عن الثورة المكسيكية « منذ اليوم الذي قام فيه بالتمرد والى يوم مصرعه لم يستسلم ابدا ولم ينهزم ابدا ولم يغمد سلاحه ابدا » .

والنيل من حركات التحرر اسلو بما زالت تستخدمه هوليود حتى الآن كما فيلم البريهات الخضراء وكان ابلغ رد عليه الرصاص الذي اطلقه فدائيونا العرب على شاشة سينما الحسين بعمان .

ونقد الكاتب السياسي والاجتماعي والذي جعله ياخذ التحليل الطبقي طريقا له يدل على بعد الرؤية عنده ، فعندما يكشف لنا عن مستقبل افلام هوليود ينقل نصا من كتاب الزنجية في افلام هوليود .

« ان حركة الشعب الزنجي المتقدمة مع حلفائه من العمال والتقدميين البيض قد اجبرت العدو على تنازل تكتيكي جديد وفي الوقت نفسه فالنظرة الواقعية ترى في هذا التنازل اسلوبا جديدا اكثر خطرا لانه اكثر خبثا تلجا اليه اليوم الطبقة العنصرية المتعصبة في الولايات المتحدة لتحقق هدفها الايديولوجي الاستراتيجي وهو سيادة البيض في افلام هوليود » ص ٢٧ ان هذه الحقيقة التي اتخذها الاستاذ لوسن وجهة نظرة لتدل على رؤية سليمة للمستقبل من خلال مضمون الحاضر .

ان اغلب افلام هوليود والتي تهب علينا دائما سمومها تصور زنجيا يعتقد ان البيض يكرهونه للون بشرته في الوقت الذي تظهره اللقطات التالية « لا هو على البال ولا الخاطر » كما نقول بالنسبة للبيض . وهذا لا يمنعنا من القول بان الزنجية في افلام هوليود قد تطورت الى احسن كما في الافلام التي يمثلها « سيدني بوتيه » فهنا نجد الزنجي لا يقل شيئا عن الابيض بل ربما يتفوق عليه لكن هذه الافلام جميعها تنطبق عليها العبارة التالية « تعلم المتفرج الابيض ان ينظر للزنوج باعتبارهم مخلوقات « تعسة » ينبغي ان يتسامح البيض معهم » ص ٢٧ .

اما افلام عملاء المخابرات المركزية والتي دلل عليها الكاتب فما زالت تتبع الاسلوب نفسه حتى الآن وقد نشرت مجلة الآداب وثيقة عن الافلام الامريكية التي تكرس للعميل الذي لا يقهر .

وبالرغم من امتلاء الكتاب بالنقد الاجتماعي والسياسي فهذا لا ينفي عنه صبغة النقد الفني . ففي ص ٩٦ يحلل افتتاحية فيلم « مولان روج » حيث تظهر عاهرتان تتقاتلان ثم يبين كيف ان هذه اللقطة تمهد للمناظر التي تليها والتي تكشف عن حياة الليل عند تولوز لوتريك ولكنه يرجع ليتابع نقد الفيلم من حيث ان احدى العاهرتين بيضاء والاخرى سوداء .

وعندما يتعرض لفيلم عربة اسمها الرغبة ينتقده من جهة الدوافع القهرية البدائية كما تاتي الموسيقى ـ في الخلفية ـ من اوكار زنجية مجاورة .. كما يشرح كيف ان « الجوانب الفريزية العدوانية والجنسية في الفيلم » ترتبط بوجهة نظر تعادي الاجنبي المولد .. ويلاحظ ان المؤلف لا يتخلى عن وجهة النظر الطبقية ومحاربة الفاشية حتى عند نقده الفني للافلام .. ففي ص ١١٢ يتعرض لنهاية الفيلم ـ النهاية السعيدة ـ ! وهي موت احد المثقفين الذي يسمع النظارة صوته القادم من العالم الاخر طالبا الغفران لجريمته والتي لم تكن غير تفكيره في الدولة ومؤسساتها تماما كما كنا نسمع صوت تشرشل يتباكى على حروب الديمقراطيات العظيمة .

وفي المشهد الذي يلقي فيه زاباتا زوجته بعيدا عن طريقه يتخذه المؤلف على كازان من حيث انه حاول ابراز الجانب الحيواني في طبيعته . وقد نجد تطابقا لهذه في فيلم « الخيول النارية » السوفياتي حيث نجد والد ايفان يلقي امراته بعيدا عنه تاركا كل توسلاتها ودموعها عندما يحاول ان يتقاتل مع الراسمالي . وهذا الرجل البسيط بطل ايضا مثل زاباتا ، وبالرغم من ان هذه اللقطة الاخيرة لا تظهره بقسوة « زاباتا » الا اننا نتسائل عن الداعي لاتفاق اللقطتين في فيلمين احدهما من الشرق والاخر من الغرب ؟.

لقد كان مفروضا ان يقرا هذا الكتاب عندنا منذ زمن صدوره وحتى الآن عسى ان تتغير مقاييسنا نحن المستهلكين لافلام هوليود المستهلكة .

القاهرة — محمد عبد الرزاق

التراث اليهودي الصهيوني والفكر الفرويدي

تاليف : الدكتور صبري جرجس

★★★

ما من نظرية من نظريات علم النفس اكتسبت شهرة وشيوعا كما اكتسبت نظرية التحليل النفسي ، وما من اسم لمع في الاوساط السيكولوجية والشعبية كما لمع اسم فرويد كرائد للتحليل النفسي ومخترع له .

فما هو سر هذه الشهرة لهذه النظرية ولصاحبها على الرغم من نواحي القصور التي تتصف بها لاعتمادها على الفرضيات الغيبية وليس على الدراسة العلمية التجريبية المخبرية ؟

احب ان اقرر منذ البداية حقيقة مؤداها ان الفكر العربي قد وقف خلال هذا القرن (نتيجة لعوامل التخلف والعجز والقصور التي كانت حصيلة للعهود الاستعمارية) موقفا سلبيا يتسم بالدهشة والاستسلام من جميع الافكار والنظريات والفلسفات التي اخذت تغزو حياته من العالم الغربي دونما محاولة من الفكر العربي لمعرفة الدوافع الخفية التي تحرك اصحاب هذه النظريات والافكار والفلسفات .

وان المتتبع للكتابات السيكولوجية العربية خلال هذا القرن يلمس من جملة ما يلمسه ان معظم هذه الكتابات ان لم يكن كلها قد اقتصرت على الترجمة الحرفية فقط وعلى نقل الافكار والنظريات

صدر حديثا

اعناق الجياد النافرة

ديوان جديد

لصاحب « في شمسي دوار »

الشاعر الطليعي

فواز عيد

منشورات دار الآداب

السيكولوجية الغربية دونما محاولة من قبل أصحاب هذه الكتابات تمثل هذه الافكار والنظريات والفلسفات او صياغتها بطريقة اخرى ودونما محاولة لنقدها او تقويمها ، وكأنها نظريات - فلسفات تتصف بالكمال والقداسة .

واعترف منذ البدء ان هذا الكتاب (التراث اليهودي الصهيوني والفكر الفرويدي) يعتبر - في رأيي - اول محاولة عربية جادة ورائدة في مجال علم النفس وقد تصدى مؤلف هذا الكتاب (الدكتور صبري جرجس) بثقة ووعي وبمسؤولية علمية وقومية لاشهرعالم من علماء النفس وهو (فرويد) ولاكثر نظرية من نظريات علم النفس اثارت جدلا ونالت شيوعا وهي (نظرية التحليل النفسي) .

ان هذا الكتاب يطرح قضية جديدة كل الجدة ولم يسبقه اليها أحد ، وهو يطرحها في صيغة سؤال وهو :« هل كان التحليل النفسي الفرويدي مجرد فكر علمي موضوعي او انه كان حركةعلمانية صاغت روح التراث اليهودي الصهيوني في نطاق الفكر العلمي الذي ساد العصر وباسلوبه ؟

ذلك هو السؤال الذي يحاول هذا الكتاب الاجابة عنه . ويتكون الكتاب من (٣٨٤) صفحة من القطع المتوسط ويشتمل على الاقسام التالية :

١ - القسم الاول - التراث اليهودي الصهيوني :
أ - التراث الظاهر ب - التراث الخفي ج - ملحق التراث .
٢ - القسم الثاني - الرجل حياة وفكرا :
أ - من سيرة فرويد ب - من فكر فرويد .
٣ - القسم الثالث : مقتطفات من الفكر الفرويدي ومنابعه في التراث اليهودي الصهيوني .

ويختتم المؤلف كتابه بفصل ختامي تحت عنوان : في الصهيونية والامبريالية والفرويدية .

لقد استهل المؤلف بتقديم خلفية تاريخية للتراث اليهودي الصهيوني حيث قدم وصفا تاريخيا كاملا للتوراة (الكتاب المقدس الاول لدى اليهود) وللتلمود (أهم وثيقة مقدسة تغطي كل جوانب النشاط في حياة اليهود)، وللتراث اليهودي الشفوي الخفي . ومن خلال هذا التراث كشف لنا المؤلف قصة اليهود ، تاريخهم وشريعتهم وادابهم وتأملاتهم وعلومهم وقصصهم الشعبي وفكرهم الخرافي ، ولقد عكست لنا هذه القصة ما يتصف به اليهود عبر التاريخ من شر وعدوان وتحلل وغدر وخيانة وتجسس وجشع وغرور واستعلاء وانتهازية وانانية وكذب وغش وخداع وتآمر وتعامل بالربا واباحية ومداهنة ونزوع للسيطرة وتوسل لمراكز القوة والنفوذ بالمال والنساء واثارة للفتن ، وقد تكشفت هذه الاخلاق من خلال كتبهم المقدسة وتراثهم الخفي ومن خلال تعاملهم مع غيرهم من المجتمعات عبر التاريخ .

وفي القسم الثاني من هذا الكتاب يتحدث المؤلف عن فرويد من خلال سيرته الشخصية ومن خلال افكاره . ويكشف لنا المؤلف في هذا القسم من الكتاب كيف ان نشأة فرويد وعلاقاته المهنيةوالشخصية المقصورة على افراد من اليهود ، كيف ان هذه النشأة ساعدته على ان يكون على معرفة كاملة بالحياة اليهودية والجوانب العقائدية والطقسية لليهودية وعلى اطلاع شامل للتاريخ والادب اليهودي وفلسفة اليهود وعقائدهم وعاداتهم ونكاتهم واقوالهم المأثورة . واوضح لنا المؤلف من خلال السيرة الفرويدية - كما رواها مؤلفون يهود من تلامذته ومريديه - كيف ان فرويد كان يشعر بنفسه يهوديا الى اعمق الاعماق وكيف انه كان يشعر بالاضطهاد ليهوديته - على حد زعمه - على اعتبار انه احد ثلاثة طعنوا نرجسية الانسان ، الاول (كوبرنيك) الذي وجه الطعنة الكونية ، والثاني كان (داروين) الذي وجه الطعنة البيولوجية ، والثالث كان هو (فرويد) الذي وجه الطعنة السيكولوجية . وكشف لنا المؤلف ارتباط فرويد بالصهيونية المعاصرة من خلال انضمامه لجمعية (بناي برث) او (ابناء العهد) الصهيونية وكان هدف هذه الجمعية الظاهر هو رعاية المصالح اليهودية الحضارية والثقافية والخيرية ، اما هدفها الحقيقيفهو العمل في خدمة الصهيونية العالمية . واوضح لنا المؤلف ايضا كيف ان نشاط فرويد في مجال عضوية الجمعيات الصهيونية لم يقف عند هذا الحد بل كان يعطف جهرا وصراحة على الحركة الصهيونية الحديثة منذ بدء نشاطها وكان يعرف (نيودور هرتزل)اول رئيس لها معرفة شخصية ويوليه الاحترام وقد ارسل اليه احد كتبه مع عبارة اهداء شخصي عليه (ويرجح المؤلف ان هذا الكتاب هو « تفسير الاحلام » .

وقد كشف المؤلف من خلال افكار واراء فرويد في الشخصية وتكونها والحتمية النفسية واللاشعور والكبت ومفهوم الليبيدو والموقف الاوديبي وغريزتي الحياة والموت وطبغرافية النفس وسيكولوجية المرأة والمدنية والاخلاقيات الجنسية والدين .. كشف لنا المؤلف من خلال هذه الافكار والاراء كيف انها مشبعة ومتفقة ومشتقة من التراث اليهودي الذي نشأ فرويد في احضانه وتشبع فيه .

لقد صاغ فرويد نظرياته وافكاره بشكل منهجي دقيق وغلفها بغلاف علمي موهوم بغية تحقيق اهداف خطط لها بحكمة ورسمها بدقة ليصل في المدى البعيد الى خدمة اليهودية الصهيونية ، هذا مع العلم ان الكثير من افكاره النظرية ومبادئه اصبحت اليوم مجالا للنقد واصبحت تمثل مرحلة متخلفة من التفكير الانساني اختلطت فيها الاسطورة والفرضيات الوهمية بالطموح العلمي . ولا تصمداليوم اية نظرية او فكرة من نظريات وافكار فرويد لاي نقاش او جدل علمي تجريبي . فهي مجرد فرضيات وهمية اسطورية تتصفبالحتمية والتزمت والتعصب والتحيز والعنصرية .

وعلى الرغم من محاولات فرويد اضفاء الموضوعية على افكاره ونظرياته فان هذه النظريات والافكار وما اشتملت عليه من تقرير لبعض الحقائق المتعلقة بالشخصية ومكوناتها واللاشعور والكبت ومفهوم الليبيدو والموقف الاوديبي وغريزتي الحياة والموت ... الخ ما هنالك من نظريات وافكار تتعلق بالحضارة والدين انما كان يهدف من ورائها الى اثارة الشك في نفس الانسان الغربي عن مدى صلاحية حضارته له ، وان في دعوته لاطلاق الغرائز وتقريره لغريزة العدوان عند الانسان واعتباره الدين كلون من المرض النفسي الوسواسي وتمجيده لليهودية والحديث عن فضلها على البشرية فيما اعطتها من ضمير وما هدتها الى مفهوم التوحيد انما كان يهدف الى هدف اساسي وضعه نصب عينيه واخذ يحققه بدقة الا وهو خدمة اليهودية الصهيونية وتمجيدها .

ولكي يدلل مؤلف هذا الكتاب على صدق استنتاجه وموضوعيته ودقة بحثه العلمي يقدم لنا بعض المقتطفات من الفكر الفرويدي ويربطها بمنابعها من التراث اليهودي الصهيوني . ويكشف لنا المؤلف عن هذا الارتباط والعلاقة من خلال المقال الذي كتبه فرويد عن (تمثال موسى) للفنان (ميشلانجلو) حيث تكشف من خلال هذا المقال كيف أن شخصية موسى كانت لها دلالة ضخمة بالنسبةلفرويد منذ بدأ يقرأ التوراة في طفولته . وكشف لنا ايضا هذا الارتباط من خلال عرضه لكتاب فرويد (موسى والتوحيد) وكشف لنا كيف ان فرويد قد استوحى التراث اليهودي الصهيوني في كتاباته عن التحويل واللاشعور والشيطان والاحلام والكبت والتداعي والجنس وعشق المحارم ، وقد ربط كل هذه المفاهيم بما يقابلها فيالتراث اليهودي الصهيوني مما يؤكد الحقيقة التي اراد المؤلف انيكشفها وهي ان الافكار والنظريات الفرويدية لها ما يقابلها فيالتراث اليهودي الصهيوني ومشتقة من هذا التراث وتهدف الى خدمة الصهيونية ومطامعها وتلتقي معها

ويعقد المؤلف فصلا اخيرا تحت عنوان (في الصهيونية والامبريالية والفرويدية (ويكشف المؤلف من خلال هذا الفصل كيف

ان الامبريالية تشكل عنصرية في مجال الاقتصاد والاستغلال ومناطق النفوذ ، واليهودية الصهيونية تشكل عنصرية في مجال الدين والعقيدة ، وان التحليل النفسي يشكل عنصرية في مجال العلم والثقافة ، وانها جميعها مظاهر مختلفة في ميادين منوعة لآفة واحدة واحدة هي (العنصرية) .

***

ان هذا الكتاب الذي قدمته لمؤلفه الجاد الدكتور صبري جرجس يمثل – في رأيي – اسلوبا جديدا في التفكير العربي الذي استيقظ بعد الخامس من حزيران سنة ١٩٦٧ ، وهذا الكتاب من جملة كتب قليلة ظهرت في المكتبة العربية اخيرا وهي تشكل نهجا جديدا في التفكير العلمي العربي الموضوعي الواعي والمسؤول الذي اخذ يحتل دوره الحقيقي كسلاح فعال في معركتنا المصيرية مع العدو الاستعماري اليهودي الصهيوني بعد ان كان الفكر العربي طيلة قرون عديدة مخدرا ومضللا نتيجة للعسف والاضطهاد والقهر الذي عانى منه الانسان العربي طيلة تلك القرون المظلمة .

وفي ختام هذه المراجعة لهذا الكتاب احببت ان احدد مجموعة من النقاط للاعتبار :

١ – يظهر هذا الكتاب (التراث اليهودي الصهيوني والفكر الفرويدي) في الوقت الذي فيه ما زالت جامعاتنا في البلاد العربية تدرس موضوع (التحليل النفسي والفرويدية) في اقسام علم النفس بقداسة وتقدمه للطلاب على انه قمة الفكر العلمي في مجال علم النفس ولا يقبل النقد او النقاش او المعارضة . وقد بلغ التعصب عند بعض اقسام علم النفس في بعض جامعاتنا انها اقتصرت في التدريس على (التحليل النفسي) دون غيره من مدارس علم النفس الحديث امعانا في التعصب لفرويد ولمدرسته وجهلا من القائمين – او تجاهلا – على تلك الاقسام للطبيعة المخطط اليهودي الصهيوني الذي يكمن خلف افكار فرويد وللاهداف البعيدة التي ترمي اليها مدرسته التحليلية في خدمة الصهيونية .

٢ – ان هذا الكتاب يصلح في رأيي لان يكون نموذجا يحتذى كاسلوب جديد يجب ان يسود حياتنا الفكرية والعلمية والادبية والفنية في النقد والتمحيص والمراجعة والتقويم لجميع ما يفد الينا من فكر من الخارج لا ان نأخذ كل ما يفد علينا من فكر بروح سلبية عاجزة ومن خلال احساس التخلف والعجز والتقصير .

٣ – انني اقترح ان يدخل هذا الكتاب كمادة اساسية ضمن مواد الدراسة التي يدرسها الطلبة في اقسام علم النفس في جامعاتنا العربية .

٤ – ان المعركة التي تخوضها امتنا ضد الصهيونية ليست معركة عسكرية وحسب ، فان الانتصار العسكري لا بد وان يسبقه ويرافقه انتصار فكري وعلمي وادبي وفني . ومن البديهيات ان الانتصار على العدو لا بد وان يسبقه معرفة هذا العدو ونمط تفكيره واسلوبه في التخطيط . وفي هذا الكتاب الذي قدمته تكشف لنا كيف ان العدو يستغل جانب الفكر ويسخر البحث العلمي المزيف لخدمة اطماعه ويزور النظريات العلمية ويغلفها بغلاف الموضوعية لخدمة مخططاته . ومن هنا فان الفكرة لا بد وان نصارعها فكرة اقوى منها واثبت حجة . ولا بد من الاعتراف بان عدونا لم يكسب الجولات العسكرية المرة تلو المرة الا بعد ان يكون قد انتصر علينا في حربه النفسية التي كان وما يزال يشنها منذ اواخر القرن الماضي وبلغت ذروتها في العشرين سنة الماضية .

وان جوهر الصراع بيننا وبين العدو الصهيوني صراع حضاري وايديولوجي ومن هنا لا بد وان يساهم الفكر العربي في هذا الصراع وخاصة في المجالات العلمية التي لها علاقة بالانسان وحقيقة الانسان .

عمان — احمد الخطيب

مناجاة للقدس
في عام ١٩٧٠

قاسٍ هو الحب ، واني عاشق مسكين
أتعبه البعد ، وأغرته يد التسكين
فأينَ مني صدرها ؟
وأين مني العين ؟
قاسٍ هو الحب ، واني عاشق مسكين ..

***

يا قدسُ ، يا مدينة الحب ، ويا مدينة الصلاة
عفتُ فتاتي في ربوع الذلّ والهوان
وانغلقتْ دروب
بيني وبين صوتها الحبيب
عفتُ فتاتي ، كان وجهها الحياة
وكانت الحياة
رجه فتاتي الحالمُ الفتان
ومرت الأيام
مثقلةً بالذل والهوان
فأين مني وجهها ؟
وأين مني العين ؟
قاسٍ هو الحبُّ ، واني عاشقٌ مسكين ..

***

يا بيدر الحب ، سلاماً ، بيدر العشاق
متى أراها ؟ انني متيم مشتاق
متى أراها في ربى العراق ؟
تمشي ، وفي وجه فتاتي بسمةُ الهناء
يا شمس حبي أشرقي ، فانما الضياء
لونٌ من الوجدِ ، ومن اشراقة العينين
قاسٍ هو الحب ، واني عاشق في البينْ ..

الحلة (العراق) — علي الحسيني